الفصل الرابع العشرون

تيــه

أي بيئة في الأرض لا تتغير إلا إذا تغيرت أجواؤها، يأتيها على مدار العام مناخات تصقل في معالمها جزءاً جزءاً حتى تكتسي في كل مرة ثوباً جديداً وتصبح الحياة أكثر ملائمة، والنفس البشرية ليست ببعيدة عن تلك القاعدة، تقلبها الظروف؛ بل أحياناً تجعلها عصية التغيير أيضاً، هي بدورها تحتاج للكثير من المواقف والظروف لتتغير سجيتها وتتأقلم مع واقعها؛ لكن ما كان من تصرف طارق أثار حيرة ضياء.

منذ أن عادت وفكرها منشغل بذلك، تتذكر موقفه بكلماته الطيبة ومعاملته اللينة وهو يمنحها نظرات التقدير والامتنان بعينيه، لم تكن تدري لِم أو كيف تغيرت معاملته لها فجأة رغم أنه عاملها في نفس اليوم بالأسلوب الذي اعتادت منه، مسحة من الرقة كست ملامحه جعلته يبدو إنسانا رقيق ومتواضع، بدا لها شخص آخر. تاهت في دهاليز الحيرة وصارت تشرد بفكرها عن عملها لدقائق، وحين يصيبها الإعياء من التفكير تعود لواقعها، لديها الكثير من الأمور لتنجزها، فكما اعتادت منذ أيام، عودتها للبيت لم تكن إلا استراحة قصيرة، تناولت غداءها بسرعة وكل همها إكمال مقرر الامتحان القادم، القلق والأرق يلازمانها كلما تذكرته، ومها وشادي كانا يلاحظان عليها ذلك وهما يجلسان معها حول سفرة الغداء، سألها شادي والجبيرة لا تزال مجبرة محيطة بكتفه:

-متى ستبدأ الامتحانات الفصلية؟

أجابته:

-الأسبوع القادم، أما الفصل الدراسي الثاني سيكون بعد إجازة عيد الفطر إن شاء الله.

ابتسم وقال مشجعاً:

-كان الله في عونك يا أختي، وفقك الله.

قالت مها:

-إياكِ أن تشغلي نفسك بعد اليوم إلا بمذاكرتك، أنا سأهتم بأمور المنزل، شادي تحسن كثيراً، فقط سأرافقه صباح الغد أثناء زيارته للطبيب للمراجعة وأطمئن عليه.

قالت ضياء:

-لا تقلقي عليّ أمي، وسأهتم بالبيت أيضاً.

رد شادي:

-أمي، لا داعي لأن تتعبي نفسك، يمكنني الذهاب بمفردي.

قالت بحزم:

-محال سأكون معك.

ضحكت ضياء وقالت له:

-لا داعي لأن تجادل أمي يا شادي، لن تطمئن إلا اذا كانت معك.

ابتسم وقال:

-لك ما تريدين يا أمي الحبيبة.

ثم استأذنتها لتستريح لساعتين، في المساء بدأت المذاكرة مع سحر، ثم واصلتها بعد مغادرتها، وفي غمرة انشغالها يخطر بذهنها تصرف طارق ليشتتها قليلاً، وحين تجد بأنها لن تصل لشيء، وما هو أهم في عقلها سيتبعثر بسبب شرودها تهز رأسها وهي تقول بحزم:

-ليس هذا وقت التفكير في هكذا أمور، يجب أن أبعد كل ما قد يشغلني عن الامتحان، إنها مادة صعبة.

وعادت لمذاكرتها، ومضت ساهرة حتى ساعة متأخرة لأجل إتمامها.

وفي الصباح الباكر، أيقظتها مها من نومها، وقالت لها:

- ضياء، إنها الساعة الثامنة، يجب أن نذهب الآن للمستشفى، لقد أعددت طعام الفطور لأجلك فقد كنتِ متعبة ليلة الأمس، انتبهي لنفسك ودراستك واهتمي بالمنزل.

ابتسمت لها وقالت:

-سأفعل، شكراً أمي، أتمنى أن تتعافى إصابة أخي قريباً.

بادلتها الابتسامة ثم غادرت المنزل برفقة شادي، نهضت من فراشها واغتسلت وتناولت فطورها بسرعة ورتبت المنزل، ثم أسرعت نحو كتبها ومحاضراتها، ولم تمض سوى ساعة واحدة حتى فوجئت بطرقٍ على الباب، تساءلت في نفسها، من الطارق عليها الآن؟ إلا أنها هتفت حين تذكرت:

-يا إلهي، نسيتُ بأن رُبا ستأتي في الصباح ولم أخبر أمي.

ارتدت حجابها وأطلت برأسها من النافذة، رأت رُبا بالأسفل عند الباب تلوح لها، ثم لمحت طارق بالشارع عند نهاية الزقاق واقفاً قرب سيارته، أرادت أن تبتعد عن النافذة لتفتح الباب؛ لكنها ظلت مكانها موجهة بصرها نحوه حين بدا لها وكأنه يقف رغماً عنه مسنداً يده اليسرى إلى السيارة، ثم ارتعبت حين رأته يهوي نحو الأرض بعد لحظات، صاحت برُبا قائلة في قلق:

-رُبا، ما به أخيك؟

نظرت رُبا ناحيته وخافت حين رأته ملقى على الأرض، أسرعت تعدو نحوه مذعورة، ورأتها ضياء حين وصلت إليه، جثت قربه وهزته محاولة إيقاظه؛ لكنه لم يستيقظ ، ارتبكت للموقف وأشفقت على حالة رُبا، أسرعت ترتدي عباءتها وتخرج بسرعة وتتجه إلى مكانهما، ولما وصلت وجدته فاقداً وعيه مدداً على ظهره، وبدت ملامح الألم على وجهه وأنين خافت يصدر منه، نادت عليه فلم يجبها، قالت لرُبا:

-هل كان مريضا؟

هزت رأسها نافية ثم قالت وهي تحاول تمالك خوفها وقلقها:

-لا، لقد كان بخير، فقط بدا متعباً ليلة أمس.

نهضت وأسرعت تحضر كأس فيه بعض الماء من المنزل، ثم عاد وجثت قربه عن يمينه ونثرت بعضه على وجهه وهي تناديه؛ لكن الأمر لم يفد، عادت رُبا تجثو قربه في الجهة الأخرى وتهزه

وتناديه باكية محاولة إيقاظه فلم يجبها إلا بالأنين، ثم فتح عينيه، ابتسمت رُبا ظناً منها بأنه قد استعاد وعيه؛ لكن ضياء ارتعبت لمنظره.

لم يبدُ عليه بأنه استعاد وعيه، فقد بدت نظراته تائه وعيناه تحدقان أمامهما نحو السماء فقط، كانت نظرات من يودع الدنيا، ثم سقطت أجفانه بعد ثوان، هنا ارتجفت ضياء في خوف فصاحت بهلع:

-طارق، طارق، أرجوك أفق.

لم تتلقَ أي جواب منه حتى أنينه اختفى، بينما خبت ابتسامة ربا وازداد خوفها مع اضطراب ضياء التي تلفتت حولها فلم تلمح أحداً، فأسرعت تقف لتبحث عمن يساعدها، فرأت رجلين من جيرانها يتحدثان ويقفان بعيداً وقد حالت سيارة طارق عن رؤيتهما لما حدث، فأسرعت تطلب مساعدتهما والقلق والخوف يملأن صدرها، أقبلا على الفور وحاولا إيقاظه مثل ما حاولتا؛ لكن دون جدوى، قررا أخذه للمستشفى، ثم سأل أحدهما ضياء:

-هل هذه سيارته؟

-نعم سيدي.

أسرع الرجل يغلقها ويسلم المفتاح لها، ثم قال:

-سأتصل بالسيد عبد الكريم فور وصولنا إلى المستشفى، ابقي الصغيرة عندك.

هزت رأسها ،بينما ارتمت رُبا في حضنها باكية في خوف وتقول:

-أريد أن أكون مع أخي، ماذا حدث له؟

ضمتها وهي تقول محاولة طمأنتها:

-لا تقلقي عزيزتي، سيكون بخير.

ازداد بكاؤها وضياء تحاول التخفيف عنها رغم خوفها كذلك، في اللحظة التي رأت فيها الرجلان يحملان طارق وينقلانه إلى سيارة أحدهما ثم يغادران به من المكان، تساءلت في قلق:

-ترى ماذا أصابه؟

وتمنت في أعماقها ألا يكون الأمر خطيراً.

فتح طارق عينيه في إعياء وألم، وغشاوة كبيرة لا تزال مطبقة عليهما، وأصواتٌ تتناهى لسمعه كأنها آتية من أعماق سحيقة، أخذ يتلفت حوله، بدا كالتائه أو ربما كالباحث عن النور في وسط الظلام، حتى اتضحت الصورة أمامه وميَّز أصحاب الأصوات، رأى أهله يقفون حوله؛ والده عن يمينه وأمه ورُبا عن يساره، ينظرون إليه والقلق والخوف يلتمعان من أعينهم، وضمادة كبيرة كانت قد غطت رأسه كله، تأوه للحظة ثم سأل بوهن:

-أبي!! ماذا حدث؟! أين أنا؟

رد عبد الكريم مبتسماً وبلهجة إشفاق:

-الحمد لله أنك بخير، أنت بالمستشفى.

رد دهشاً والوهن يلازمه:

-بالمستشفى؟! وكيف وصلت إلى هنا؟ ماذا حدث معي؟ لِم رأسي ثقيل هكذا؟

دنت عائشة منه أكثر، وقالت لتهدئه:

-لا تثقل على نفسك بالأسئلة يا بني، المهم أن ترتاح الآن.

قالت رُبا في ارتياح:

-الحمد لله أنك بخير، لقد أرعبتني عندما سقطت عند السيارة، ظننتُ بأنك لن تفيق.

تمتم وهو يحدق بالسقف محاولاً تذكر ما حدث:

-آه، صحيح، شعرت بصداع شديد وتلاشى وعي وأنا أنظر إليكِ وأنتِ تتجهين إلى منزل ضياء بعد أن أغلقت باب السيارة الذي فتحته لكِ، لا أدري لِم لازمني هذا الصداع منذ بدأ الامتحانات.

طفرت دموع في عيني والديه؛ لكنه لم يلاحظهما، فسألته عائشة:

-لِم لم تخبرنا بذلك؟

أسبل جفنيه للحظات، ثم قال:

-ظننتُه بسبب المذاكرة وإرهاق الامتحانات.

قالت رُبا وهي تبتسم:

-كنتُ خائفة وقتها ولولا ضياء ما كنت ستجد من يساعدك، لقد ساعدتني أيضاً ووقفت إلى جانبي.

بدت الصدمة على وجهه حين قالت ذلك، فنهض مسرعاً بلا وعي، فاجأهم بتصرفه وهو يمسك بكتفي رُبا ويقول في عصبية وانفعال:

-طلبتِ من ضياء أن تساعدني؟!

ردت متلعثمة في فزع لتصرفه:

-لم أكن أعرف أحداً غيرها، لذا طلبت مساعدتها.

ازداد انفعاله وهو يهزها، ويقول في حدة:

-كان يجب أن تجدي غيرها، كان يجب عليكِ ذلك.

قالت عائشة في خوف:

-ما بك يا ولدي؟ رُبا لا تعرف أحداً بالمنطقة غيرها.

نظر إليها، وقال في حدة:

-مهما...

لكنه بتر عبارته حين انهار متألماً فجأة، وكاد يقع من سريره لولا أن أسرع والده يمسك به ويسند رأسه إليه، فسمعه يتمتم بصوت خفيض واهن لم يسمعه أحدٌ سواه قبل أن يتلاشى وعيه:

-إلا هي ... إلا هي.

اندهش عبد الكريم لقوله، وحين غاب عنه وعيه مدده على سريره، وتأمل وجهه وهو يتساءل في نفسه حائراً:

-ماذا بينك وبين ضياء؟

أخيراً، انتهى الامتحان الذي بدت مادته ثقيلة على الطلاب، فانطلقت التنهدات وعلت الأصوات فور انتهاء الوقت وخروج الأستاذ، مخففة عن نفوسهم شيئاً من مشقة ما مروا به. أسرعت ضياء تنهض من مكانها وتنظر حيث يجلس طارق دائماً فرأت رفاقه ولم تره، فتسلل القلق إلى أعماقها، هل ما أصابه خطير إلى هذا الحد حتى منعه من القدوم،أم أن هنالك أمر آخر؟

نهضت سحر وهي تحمل حقيبتها وتقول:

-كيف وجدتِ الامتحان يا ضياء؟

ابتسمت لها ابتسامة صغيرة وهي تقول:

-لا بأس به، الحمد لله مر على خير.

-الحمد لله.

ثم نظرت حيث تعلق بصرها وسألتها باستغراب:

-ما الأمر يا ضياء؟ أتبحثين عن أحد؟ تبدين قلقة.

لم تخفِ الأمر عنها وأخبرتها بما حدث صباح الأمس لطارق، فتفاجأت، وما أن أتمت حديثها حتى سمعت الفتاتان صوت محمود وهو يقول لناصر في صدمة:

-ماذا تقول؟!

رد ناصر في قلق:

-هذا ما حدث؟ لقد أصيب طارق بنزيف في الدماغ وأجريت له عملية مساء الأمس، هذا ما أخبرني به والده عندما اتصلتُ به قبل لحظات.

بدا الخوف والقلق على وجوه زملائهما ، سأل أحدهم ناصر:

-أهو بخير الآن؟

-أخبرني والده أنه بخير؛ لكن الزيارة ممنوعة عنه لمدة أسبوع.

-الحمد لله، سنزوره و نطمئن عليه إن شاء الله..

قالت أحد الفتيات لزميلاتها:

-سنذهب نحن كمجموعة واحدة لزيارته.

ودار الحديث بين الطلاب حول ذلك، قالت ضياء في نفسها في إشفاق:

-لا حول و لا قوة إلا بالله، أهذا بسبب أصابته تلك؟ أسأل الله أن يشفيه.

ثم اقتربت أحد الفتيات من ضياء وسحر، وهي تقول لهما:

-سنذهب لزيارة طارق بعد مضي الأسبوع، فهل تنويان الذهاب معنا؟

بدا التردد على وجه ضياء، وكادت ترد على الفتاة لولا أن سحر أسرعت تقول في حدة:

-أولاً أنا لن أذهب لزيارة شخص بخلق طارق، ثانياً هو لم يحترم ضياء مثل أي زميلة له في الدفعة بل كان يتعجرف عليها بلسانه ومع ذلك تطلبين منها هذا الطلب السخيف؟

ارتبكت الفتاة لحدة قولها، فقالت:

-أعتذر، كنتُ أود أن تذهب مجموعة كبيرة منا.

ثم انصرفت ، بينما قالت ضياء لسحر لتهدئها:

-اهدأي يا سحر، الكل يعرف طارق وما فعله، لكن لا أدري لِم أحسست بأن شيئا قد تغير فيه آخر مرة.

ردت عليها في عصبية:

-وماذا حدث؟

حكت لها ما بدا من تصرفه معها، فقالت بحزم:

-لا تنخدعي بهذا، ربما كان يفكر في أمر ما ليحيك لك مؤامرة جديدة؛ لكن فرحته لم تتم بذلك، هل نسيتِ كيف طلب منك تعليم أخته بلهجة آمره؟ إنه لا يكن لك أي احترام أو تقدير.

أخذت تفكر فيما قالته، وفي أعماقها كانت مقتنعة بأن شيئا قد تغير في فكر طارق، لكنها لم تدرِ ما هو.

لم يدرِ حقيقة ما يعتمل داخل صدره؟ هل مازال يكرهها كما كان منذ أن عرفها أول مرة، أم أن ما رآه منها من مناقب سيدفع قلبه لولوج منعطف آخر لم يتخيل بأن سيلج إليه يوماً؟ متاهة روحية لم يألفها في حياته بل تاه فعلا حين أبصرها بعيني قلبه.

هي من ولجت لقلبه بذلك دون استئذان، كان يخشى أن يتحول إعجابه بها إلى أكبر من ذلك؛ أن تمتلك عليه قلبه، لماذا يفكر هكذا وهو لم يقدم لها إلا الإساءة؟ لن يكون سوى عبث منه

وحب عقيم مشلول، ضياء ولاشك تكرهه، تخيلها تارة على وجهها ابتسامة شامتة حين رأته ملقاً أرضاً لا حول له و لا قوة و لن يساعده أحدٌ غيرها، وتارة أخرى تخيل ملامح الخوف والقلق على محياها وهي تطلب المساعدة لأجله، هذا ما أخبرته به أخته رُبا؛ لكن عقله لم يقتنع بذلك وهو من أساء إليها وجرحها مرات ومرات.

فلماذا ساعدته؟! هل ليتجرع مرارة إساءاته لها بجميل صنيعها؟

عاصفة ألمت بعقله وقلبه وهو يتأمل قطرات المطر المتساقطة عبر النافذة راوية ظمأ الأرض، ساعيةً للملمة صدوعها التي أنهكها جفاف أيام قاحلة قاسية، أما هو... فمن يلملم صدوع قلبه الذي تبعثر بقسوة مشاعره؛ بل لم يكن يدري عنها شيء ولا كيف تبعثرت هكذا؟

اضطربت مشاعره بين الكره والحب، وبين الألم والندم على ما قابلها بالشر والإساءة وما قدمته له في محنته هذه وهو يتذكر كل ما جمعه بها من مواقف. تمنى لحظتها لو أن قلبه ظل كما هو حتى لا يشعر بكل هذا الاضطراب والألم، لم يستطع أن يهدىء ما في عقله وقلبه وهو يشعر بأن شهوراً طويلة مرت على بقائه في الفراش لا ير سوى جدران الغرفة وضوء الشمس من النافذة يسطع ويختفي، لم يكن يقوى حتى على رفعه رأسه من وسادته إلا دقائق معدودة ليعود إليها.

في ذلك المساء، كانت عائشة جالسة قربه صامتة لصمته الذي بدا حزيناً، سألته إن كان يشكو من شيء أو يرغب في شيء فيهز رأسه نافياً، هكذا اعتادت تصرفه منذ أن استفاق وأدرك

سبب دخوله إلى المستشفى، لقد اتخذ من الصمت ملاذاً له يبوح لخلوة روحه كل آلام نفسه، وحين دخل عبد الكريم وبرفقته رُبا وجده ينظر نحو النافذة معرضاً بوجهه عن الباب، ساهماً شارد الذهن بين عقله وقلبه، أسرعت عائشة إليه، وقالت له في قلق:

-هل قال الطبيب أن نفسيته قد تتأثر بسبب إصابته؟

هز رأسه وقال:

-لا، ولا تقلقي، النزيف الذي حصل من إصابته الأخيرة كان صغيراً ويبدو بأنه لم يحدث في حينها ولهذا لم يكشفه الفحص الأولي، ولو بقي بالمستشفى لربما تم اكتشافه، وهو ما سبب له الصداع ثم الإغماء، هذا ما أخبرني به الطبيب وقال بأنه سيتحسن بإذن الله.

قالت وهي تنظر إليه في قلق زائد:

-حالته لا تعجبني أبداً يا عبد الكريم، أشعر بأنه حزين ولا أدري لِم، أرجو أن تتحسن إصابته ونفسيته عند خروجه من المستشفى.

-أسأل الله ذلك.

لم يكن طارق يستمع إلى أي شيء مما يدور حوله، فلم يبعد عينيه عن النافذة، قال عبد الكريم لزوجته:

-هلا خرجتِ قليلاً يا عائشة.

-لِم؟

-سأحدثه قليلاً، عله يفصح لي عما يفكر فيه.

-حسناً.

وغادرت عائشة برفقة رُبا الغرفة، بينما تطلع إليه وهو يتذكر مسعاه لمعرفة ما إذا كان هناك أمر قد حدث بين طارق وضياء، كان أول ما فعله هو أن طلب مقابلة أستاذه (الدكتور سامي)، فاتصل به ليلتقيا في أحد المساجد، وبعد أن أديا صلاة العصر، سأله سامي قائلاً:

-كيف حال طارق الآن؟

-الحمد لله إنه أفضل

-الحمد لله، أسأل الله أن يمده بالصحة و العافية.

-آمين، شكراً لك.

-خيراً يا سيد عبد الكريم، لِم طلبت مقابلتي؟

فقال عبد الكريم محاولاً الوصول لمراده بطريقة غير مباشرة:

-كنتُ أود سؤالك عن مستوى طارق في الدراسة.

بدا الاستغراب على وجهه وهو يقول:

-تسأل عن مستواه وقد أزفت السنة من منتصفها؟! غريب هذا منك، كان الأولى أن تسأل مع بدايتها حتى تعرف ذلك.

تنهد وهو يقول:

-مشاغل العمل وأعبائها علي و...

قاطعه بلهجة شبة حادة:

-أعتقد بأن اتصالاً لا يستغرق خمس دقائق لن يعطلك عن عملك ولو أدرك طارق بأنك تتابع سير دراسته لربما تحسن مستواه.

بدا الحزن والقلق على وجهه وهو يقول:

-نعم، أنا ألوم نفسي على تقصيري نحوه، ولكن أخبرني، كيف هو مستواه؟

-سأكون صريحاً معك يا سيدي، مستواه متدني جداً، لا يكاد ينجح في أي امتحان أو ينال درجات مقبولة إلا بصعوبة، له أربعة من رفاقه على شاكلته لا يثرثرون إلا أوقات المحاضرات، وأنا واثق بأنه لم يكن لينجح إلا بالغش لأن إجاباته لا تدل على مذاكرته واجتهاده.

نكس رأسه وهو يقول:

-لا حول و لا قوة إلا بالله.

ثم عاد يسأل :

-وكيف هي علاقته بزملائه؟

صمت للحظات مفكراً ثم قال:

-تعامله حسن مع رفاقه حسب ما رأيتُ وسمعت، ماعدا نحو زميلة له من عدن تدعى ضياء.

-ضياء!!

-ضياء هذه منذ بداية السنة والجميع يبتعد عنها بسبب ندبة على وجهها وكونها غريبة أيضاً، استنتجتُ ذلك من كثرة ترددها على مدرسيها بالأسئلة عن المحاضرات حتى أبسطها لكن الأمر قل تدريجياً حين بدأت تندمج مع زميلاتها، أما طارق فقد كان ينعتها بـ(المزدوجة) وقد انتشر هذا اللقب بين زملائه بعد زيارة أخته المباغتة له في القاعة، وسمعت من بعض أحاديثهم بأنه يكره وجودها.

بدت الصدمة على وجهه، ألهذا السبب لم يرد أن تساعده واستخدمها معلمة لأخته؟ إذن لم يكن هدفه الأساسي مساعدتها أبداً، تمتم في نفسه متألماً:

-سامحك الله يا بني.

ثم شكر الدكتور وقال له:

-سأبذل جهدي لأجل أن أجعله يتحسن بإذن الله.

ابتسم وقال له:

-آمل ذلك، أبلغه تحياتي.

ابتسم له وودعه، ثم أخذ يفكر، لماذا كان ابنه يكره ضياء؟ خطى خطوة أخرى لمعرفة ذلك، واستدعى صديقه (ناصر) لمكتبه قبل عودته إلى المستشفى، و لما قدم إليه ورحب به ، سأله قائلا وبلهجة لم تخلُ من الحدة:

-لماذا كان طارق يكره ضياء حتى أنه يلقبها بألفاظ لا تليق؟ وأنتم رفاقه ولم تردوه عن ذلك؟ كنتم تؤيدون أفعاله، أليس كذلك؟

بدت الصدمة على وجه ناصر وقد تفاجأ بسؤال عبد الكريم، تساءل في حيرة:

-من أخبره بذلك؟

ثم أجابه بعد تردد وتلبك:

-لقد... لقد أهانته يا سيدي.

سأل بحزم:

-كيف ذلك؟

وبدأ يروي أول حادثة جمعت بين طارق وضياء حين أسقط العم صلاح واتسخت عباءتها بسبب ذلك ليجعلها سخرية رفاقه، لكن ناصر رواها بطريقته الخاصة وهي أن ضياء من تعمدت أن تصفع طارق ظناً منها بأنه هو من أسقط العامل وأهانته أمام الجميع، أدرك عبد الكريم في خلجات نفسه تستر ناصر على خطأ طارق، شعر بالغضب لتصرفاته؛ لكنه لم يظهر ذلك أمام ناصر، اكتفى بهز رأسه مؤيداً لحديثه ثم شكره على مساعدته، قال سائلاً:

-هل هناك ما يزعج طارق يا سيدي؟

-لا، إنه على خير ما يرام؛ لكنه متعب فقط من إصابته..

-أبلغه تحياتي رجاء.

-سأفعل.

وغادره ناصر ، ليتبادر لذهن عبد الكريم ما عرفه من تصرفات ابنه بالجامعة حين كان بحي السلام وهذا ما سبب اعتداء بعض النازحين عليه في ذلك اليوم، فلم يشك بأنه كان يحاول

إيذاء ضياء بذلك كما أهان أخاها أمامه، كل هذه الكراهية يكنها لها، ولكن، لِم هو حزين هكذا الآن إن كان يكرهها؟

خطر بباله سؤال طرفٍ آخر يربطهما وهي ابنته (رُبا)، سألها عن أسئلة طارق حول دراستها مع ضياء فأخبرته ومنها ما حدث في آخر مرة لقاء بينهما بالكلية، فتعجب واحتار لأمره، كان يكرهها ثم أدرك قيمة ما تقدمه لأجل أخته فشكرها! ما الذي غير فكره فجأة؟ هل ندم على ما بدر منه؟ لو كان قد أدرك ذلك لاعتذر لها مباشرة في حينها، لِم لم يفعل ذلك؟ هل هو حزين لأجل ذلك؟ شعر أن الأمر قد تعدى مسألة إدراك الخطأ والرغبة في الاعتذار والندم على ما بدر منه.

هناك أمر آخر لا يزال يسبب له كل هذا الشرود والوجوم، شيء ما في قلب وفكر ابنه قد تغير، هل ضياء سبب ذلك؟ كيف يهدأ فكره الآن حتى ينتبه لحاله الآن؟

اقترب منه وسأله:

-ما الذي يشغل تفكيرك يا بني؟

أسبل جفنيه قليلاً وقال :

-لا شيء يا أبي، لا تقلق.

-ماذا بينك وبين ضياء يا طارق؟

فاجأه السؤال فحدق به لمدة قبل أن يقول:

-لا شيء، لِم تسأل؟

لم يرد أن يحرجه بما عرف وهو في هذا الوضع، فقال:

-سألتُك فقط لأني لاحظت انزعاجك عند معرفتك بمساعدتها لك.

أعاد بصره صوب النافذة ولم يعقب، بينما وضع عبد الكريم يده على صدره، وهو يقول في رفق:

-على كل حال يا بني مهما كان ما يشغلك فهدىء ضجيج قلبك، فإن التفكير به أسوأ من أن تفكر بعقلك، كل الأمور ستكون على ما يرام.

دهش لقوله، هل أحس والده بما يدور في خلجات نفسه؟ فسأله:

-هل صدر مني شيء يا أبي لتقول هذا؟

فهز رأسه نافياً، ثم قال في حنو: ملامح وجهك فقط اختلفت كمن يفكر بقلبه، أرجو أن تنتبه لصحتك وحسب الآن...ثم أسرع ينادي زوجته وابنته، بينما تمتم طارق لنفسه وهو يتنفس بعمق: ليتني أستطيع أن أفعل ذلك، ليت ما في قلبي يهدأ.

*****